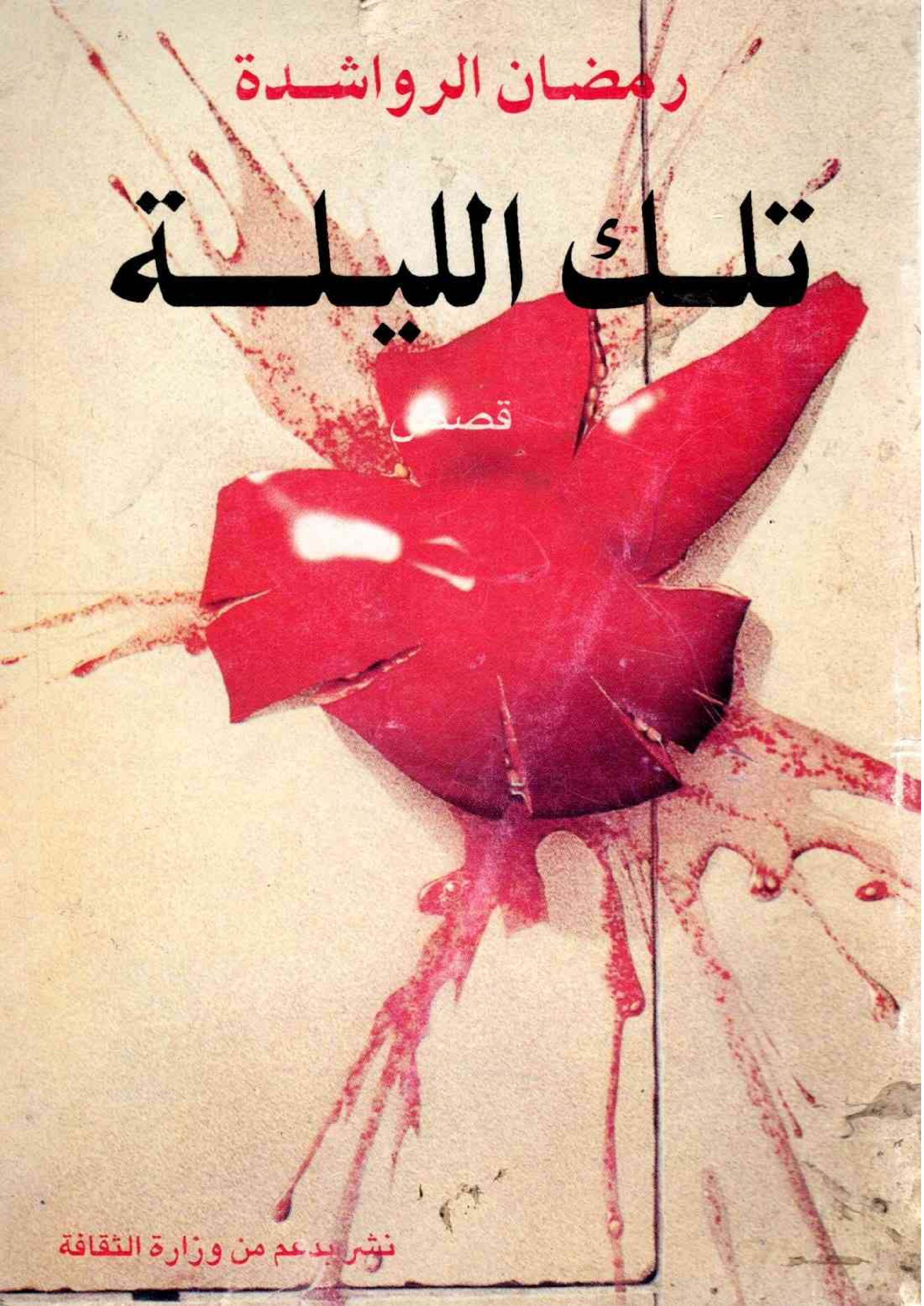


رمضان الرواشدة

تلك الليلة

قصص

نشر بدعم من وزارة الثقافة

رمضان الرواشدة



« تلك الليلـة »

نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة

دار الينابيع للنشر والتوزيع - عمان - الاردن ١٩٩٥م

رقم الإجازة المتسلسل
(٦٩١ / ٩ / ١٩٩٣)

ق
رمض   رمضان اسماعيل محمد الرواشدة
تلك الليلة / رمضان اسماعيل الرواشدة .ـ عمان :
(د.ن) ١٩٩٣
(٦٤) ص
ر.أ (١٠١٣/٩/١٩٩٣)
١ ـ القصة العربية ـ العصر الحديث
أ ـ العنوان
(تمت الفهرسة من قبل المكتبة الوطنية)

نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
تصميم الغلاف : موسى برهومة

الطبعة الأولى ـ ١٩٩٥م
دار الينابيع للنشر والتوزيع

« تلك الليلـة »

قصص

رمضان الرواشدة

الاهـــداء ..

الـــى

أوس

ملاحظة سريعة

حداثـــة !!

ابراهيم العجلوني

للصديق رمضان الرواشدة رؤاه الخاصة ، ونظراته المتميزة في شتى مناحي الحياة ، وهو من اكثر الناس عقلانية في الفكر السياسي بوجه خاص ، ومن اكثر الناس رفضاً للهيمنة الايديولوجية ، على الرغم من ارتباطاته الحزبية ، واكاد اتصوره غضبان اسفا ، دائما ابدا ...

ولعله قد خلص ، بعد كل هذه الكوابح المنطقية المذهبية الى معنى من معاني السخرية المرة التي قد تدفع صاحبها الى اجتراح امور لا تحمل ، فيما اعتقد ، الا على محمل الحداثة والمحدثين ، فيما يتناءى عن فهمنا من ابداعاتهم او فيما نحسب انفسنا فيه من الفاهمين .

وامس الاول جاءني الصديق رمضان بقصة او «فنتيكية» حرت في امرها حقا ، ووجدت ان من واجبي ان اضعها بين يدي قرائنا الاعزاء .

وقد كانت القصة مكتوبة على النحو التالي :

الاسئلـــة ؟

قصة رمضان الرواشدة

؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

عمان في ١٩٩١/٨/٢٥

وفيما أنا اتفكر في عجائب خلق الله ، دخل علينا الصديق الشاعر خالد محادين ، فهرعت اليه مستفتياً في الأمر الجلل ، وعلمت منه أن كاتباً فرنسياً كان قد سبق إلى مثل ذلك في إحدى الصحف الفرنسية ... وان للعزيز رمضان « مثايل » كثيرين .

وحتى لا يسبق الظن إلى فهم خاطئ ، أسارع فأقول انني من أكثر الناس تعاطفاً مع الدواعي والأسباب التي دفعت رمضان إلى ملء فضاء قصته بعلامات الاستفهام ، وان كنت اتساءل بدوري عن مسوغات ذلك ، في واقع ديموقراطي بفترض ان يملك فيه الناس حق الاداء العلني لما يحملونه من أفكار ، أو يطلقونه من تساؤلات !!

الرأي الثقافي ١٩٩١/٨/٣٠

المصعد

مشواري الى الطابق السادس . وقفت انتظر المصعد عله يأتي . حولي قليل من الناس ، سيدة في الخمسين من العمر اصباغها الملونة على وجهها تحيله الى خارطة من الألوان ، . في يديها الكثير من الحلي . كانت تتأفف من غيبة المصعد كل هذا الوقت .

خلفها وقـــف رجـــل يرتدي بدلة انيقـــة ، حـــلو المظهـــر ، شارباه محفوفـان بشكل لطيـــف . مقابلـــه وقفت فتـــاة في العشرينيات من العمـــر ، كما أظن ، رغم وجهها الطفولـــي ، ترتدي بنطالاً من الجينز الكالح وبلوزة خفيفة . قد تكـــون طالبـــة جامعة . مظهرها يـــدل على فقر الحال .

خلفي كان يقف شاب يحمل رزمـــة من الكتـــب ، يلبس نظارة طبيـــة ، شعره مسترسل مصفوف بعنايـــة ، نظراته تائهة. حالتي انا لـــم تكن باحسن منهم . اخذوا ينظرون اليّ .

شاب يرتدي بدلة جينز ، لحيته غير حليقة ، تفوح منه رائحة الدخان الكريهة ، شعره غير مسترسل ، يرتدي حذاء بسيطاً .

الكل ينظـــر للآخـــــر ، الكل يهجس بشيء ما . ما هي مهنتهم ؟ هـــل يريدون الطابق السادس مثلـــي ؟ لا بد ان نصل للطابق السادس ، لا بـــــد . انه الاصـــرار ، لـــم يأت المصعد .

تساءلت في قرارة نفسي : ما زلت فتيا فلم لا اصعد مشيا ؟ المشي متعب والمصعد سيريحك من عناء المشي . اعرف انه لا عذر لي . انه الخوف من التعب . لم يأت المصعد . الكل يتأفف .

فتاة الجينز لا تبالي ، تحدق في وجه الرجل الانيق ، هل اعجبها ؟ هي اعجبتني . جميلة جداً . اه لو تكون من نصيبي . تنبهت لنظراتي الحادة فتنحنحت لتعبر عن عدم رضاها .

لم ابالِ بشيء . المرأة الخمسينية تنظر اليّ ، فاجأتها وهي تنظر اليّ فارتبكت وخفضت بصرها ، قد اكون ذكرتها بابن لها ، الشاب ذو الشعر المسترسل ساهم النظر وهو يحمل كتبه . اهو من المثقفين المؤمنين بحرية المرأة ؟ كان يتحاشى النظر للفتاة والسيدة الخمسينية . المصعد لم يأت . ماذا نفعل ؟ اخـــذت اتمشى في الممر الضيق . الكل ينظـــر الـــي وكلما تلاقت عيوننـــا خفضوها بحـــياء . العيون مفاتيح القلـــوب كما قالت العـــرب . المصعد اللعين لم يأت بعـــد . مع خوفي من المصاعد الا انني أصريت على ركوبه .

كنت اسمع حكايا المصعد وكيف يتوقف أحياناً وسمعت حكايا عن ناس ماتوا في المصعد ولم يصلوا . كنت خائفاً ان لا أصل للطابق السادس . بإمكاني الوصول مشياً الا انها رغبة الوصول السهل . سأصل بهذا المصعد ولو كلفني الامر ما كلف .

بدأ الضيق واضحاً على الجميع . لا بد أن يأتي المصعد . هكذا قالوا لنا ! وقالوا ان الطابق السادس سهل الوصول ! تخيلت ان المصعد قد توقف باحدهم . لماذا لا نتعب ونشقى لنصل الى الطابق السادس . الكل ضجّ وخيّل اليّ ان بعضهم سينهار خصوصاً السيدة الخمسينية . الكل حائر في تأخر المصعد . الكل يعلق عليه آمالاً كبيرة ... سيريحهم لا شك !

في تلك اللحظة أقبل شخص من باب البناية . نظر الينا باستغراب ، تقدم حتى وصل الينا . ماذا تنتظرون ؟ اجبنا بصوت واحد : المصعد . اندهش ونظر الينا ثم انفجر ضاحكاً . المصعد ... تنتظرون المصعد ... قلنا : نعم ... عاودته نوبة الضحك مرة اخرى ، لم اتحمل ذلك فصرخت به : لماذا تستهزئ بنا بهذه الطريقة . قال لي : لانه لا يوجد في هذه البناية مصعد .

أُسقط في يدينا جميعاً ولاحظ اندهاشنا فأضاف : لان هذه البناية عبارة عن طابق واحد والطوابق العليا لم تكتمل بعد ، ثم تركنا وذهب ...

نظرنا ، بعضنا الى بعض ساخرين من عدم انتباهنا واننا مغفلون ، خرجـــت من البناية مسرعاً ، فلاحظت شيئاً وكأنني اراه اول مرة في حياتي ... كانت جميع البنايات في هذه المدينة ذات طابق واحد والطوابق العليا ... لم تكتمل بعد .

العناكـــــب

﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ سورة العنكبوت .

بيتي مليء بالعناكب .

في كل مكان . قرب السرير نسيج لعنكبوت . في الفراش والحمام ، في المطبخ في الشاي والمياه المثلجة ، في كل شيء عناكب . لم اعد اعرف مذاقاً للنوم ، اصبحت احلامي ويقظتي عناكب . تعرفت على انواعها مع مرور الزمن ، منها الدقيق الذي لا يرى ومنها الصغير والكبير ومنها ما هو بارجل قصيرة وارجل كبيرة منها الاسود والملون والمسالم والقاتل .... اما لدغها فبعضه يزول سريعاً وبعضه يتورم فاضطر « لهرش » جسمي حتى يسيل الدم ويبقى مكان اللدغة ظاهراً للعيان .

بيتي مليء بالعناكب .

كرهت بيتي . أصبحت حياتي كابوساً مخيفاً . في كل شيء ارى عنكبـــوتاً . جرائدنا . ووجـــوه الناس ، صورة

حبيبتي ، انا خائف ، ما هذه الحال يا رب ، لم اعد اطيق النوم في بيتي ولا المشي في شوارع المدينة او الذهاب للعمل . اصبحت ارى نفسي في المرآة عنكبوتاً . لم تعد الحياة تطاق ، يجب الرحيل ، لكن الى اين ؟ ما دامت بلاد الله الواسعة مليئة بالعناكب . فكرت بالانتحار لكنني تراجعت لما تذكرت كيف ستنهش العناكب لحمي .

اصرخ في وجه الجميع . اضرب اختي... اشتم اهلي... كرهت حبيبتي ... تخاصمت مع اصدقائي فتخلوا عني . جلساتنا عنكبوتية ... السيارات ، الباصات ، السائقون وكل شيء عناكب . بدأت اهذي ... اريد ان انتف شعري واصرخ في الناس محذراً .

قال الناس : جن الفتى فما عبثت بهم .. يا ويلكم احذركم وتقولون مجنون . اياكم والعناكب . خطرها اشد من سباق التسلح والخطر النووي .. يا الهي انقذني ... ابكي في الشوارع ... على الارصفة ... احاول السكر

فأرى في الكأس عنكبوتاً فاتركه . قلت اذهب للطبيب النفسي فقد يكون الوهم ... ذهبت وما ان دخلت عيادته حتى صادفتني لوحة لعنكبوت تنسج بيتها فهربت .. لحقني الدكتور بوجهه العنكبوتي .. وانا اصرخ ... الناس تجمهروا واخذوا يلاحقونني ، يا الهي ما هذا الجمع من العناكب الذي يلاحقني .. الجمع يزداد وانا اركض .. اركض حتى قعت ... تحلقوا من حولي ، وقيدوا يدي ورجلي بخيوط نكبوت .. فاغمي علي .

• • •

لا تخافوا مني ، انا الآن غيري امس ، مضى عشرون عاماً وانا مقيد في زنزانة المشفى ... عشرون عاماً حتى صبحت « مدجنا » كما قال طبيبي العزيز . اصبحت ككل لناس . لي هيئة عنكبوت ، احب العناكب واصفق هاتفاً نعيش العناكب تعيش ... بنيت بيتي على شكل بيت العنكبـــوت ، واحضرت فيه من كل نوع مـــع العناكب

زوجين . اصبحت مطمئناً غير خائف فقد تخلصت من ذلك الكابوس اللعين بعد عشرين عاماً وأصبحت مثل جميع الناس .

.. طفلي الصغير كبر في هذه الاثناء ... سمعته يوماً يصيح : ابعدوا عني العناكب .. العناكب تملؤني .. فهرعت نحوه وكممت فمه وربطته والقيت به في قبو المنزل حتى لا يأخذوه ... كان ينظر الي بحقد ... قاومني .. يا للهول انه يفلت مني هذا الشقي .. انه يتمرد ... لا يريد ان يكون عنكبوتاً . انه يفلت مني .. اه اني اموت وهذا الشقي هو سبب موتي .. يتمرد علـي انا العنكبوت الهـرم .. يا الهي انه يحطم كل بيوت العنكبوت .. يقتلها .. قف .. اياك ان تفعل .. لكن صرختي ماتت بجوفي ... ها هو ينطلق الى الشارع بعد ان دمــر منزلي وبيوت العنكبوت عنــدي ... في الخارج سمعت ضجة .. تثاقلت حتى وصلت للنافذة .. كان جمع كبير من الاولاد الاشقياء يكبرون ويحطمون كل بيوت العنكبوت ... اني اموت ...

يحدث بعد ألف عام

صباح ربيعي مشرق ، اشرعت المدينة نوافذها لزقزقة الحساسين وشدو البلابل .. الوقت يميل الى العاشرة ، لا شيء يعكر صفو المدينة التي تعودت الهدوء الا حفيف الاوراق جراء نسمات الربيع ، فجأة .. صوت صراخ يعلو ويعلو من اطراف المدينة .. وهرج كثير ومرج ... خرجت المدينة لترى ما الحدث الجلل !

كان الموكب يقترب شيئاً فشيئاً من ساحة المدينة ، حيث يرقد منذ عشرات السنين مذبح دامي الجنبات . اخذ الجمع يكبر كلما اقترب من الساحة . بضعة رجال يسيرون يحيطون برجل كث الشوارب ، معفر الـــرأس حاسره ، اشواك لحيته بارزة ، وعيناه زائغتان ، يكاد يمشي ويقع من ثقل القيود الكثيرة . وصلوا الى المذبح .

دفعه الرجال ، فصعد درجات المذبح تسبقه دموع عينيه. انتصب الرجال ، واهل المدينة يحيطون ويحدقون به ، تسمرت عيناه في المدى . تقدم شقيقه الاكبر وقيد يده

اليمنى ، تقدم الشقيق الاصغر فقيد اليـــد اليسرى .. شقيقتـــه الوحيـــدة ، تناولت الخنجـــر من غمـــده ... وتقدمت !

عيناه تبتسم فيهما الدموع ، وتورق دالية القلب ، وتزغرد فيه الاغنيات الجميلة وشوق النساء الرائعات ، لم يستطع حبس الدموع في مآقيها ، فانسابت غزيرة كالمطر في كوانين البلاد التي احب ، وعطر بالدماء ترابها .

تقدمت شقيقته والخنجر في يدها وهو ينظر للجميع .. صامتاً ... لا ينبس !

في ركن من زوايا الساحة ، كانت طفلة جميلة تنظر للجميع خائفة مرعوبة وتعصر بيدها دميتها المهترئة ... تلاقت نظراتهما فأخفض بصره ... تقدمت شقيقته منه . ناولت الخنجر لاخيه ، دفعه فأحنى رأسه بهدوء ، ودونما ضجة ، انساب الخنجر بين اضلاعه واستقر .

صرخ صرخة مدوية ، ترنحت الجثة على درجات المذبح. الكل ينظر ، الاخوة والاسرة وعشيرته وكل المدينة ، اخذ الناس بالابتعاد واجمين وجلين . لم يبق احد في الساحة ... غير مسجد ملطخ بالدماء ... ودمية مهترئة !

لم يجرؤ احد على الاقتراب منه ... خوفاً من اللعنة التي حلت به . حتى وهو ميت يخافون منه .. يخافون انتقال العدوى اليهم والى ابنائهم ... رفض الشيخ الصلاة عليه وهكذا تركوه نهبا للنسور . عندما خيم سكون الليل في ذلك المساء ، كانت الجثة لما تزل في مكانها ... من بين الزقاق ظهرت فتاة صغيرة باثوابها المرقعة واقتربت منه حذرة . قبلت وجنتيه وبكت . اقسمت فيما بعد انه ابتسم لها ... ومضت !

في الصباح ، لم يجد اهل المدينة جثته .

قيل ان طائراً عظيماً هبط من المساء ، واختطفها . وقيل ايضاً ، ان الفتاة الصغيرة ما هي الا جنية، وانها سحرت الجثة لتصنع منها اكسير الحياة .

بعضهم اقسم انه شاهد سربــاً من الحمام الابيض يطير صوب الجثة ويحطم القيود ، ويطير محلقاً بها بعيداً الى قلعة قديمة لا يصلها انس ولا جان .

حدث هذا منذ الف عام ، واقسم انني عندما مررت امس بتلك المدينة التي اصبحت خراباً تعيث فيه الضواري ، وتستنسر في سمائه البغاث .

اقسم اني شاهدت رجلاً ممدداً علــى المذبح ملطخاً بدمائه، يبتسم لـــي ويناديني ولما اقتربت منه اختفى ... ولكني شاهدت جملة محفورة في الصخر تقول : يحدث هذا بعد الف عام .

الشمعـة الأخيـرة



ضحكات صديقي المخرج تتعالى وهو يلفظ الفرنسية التي بدأ بتعلمها منذ زمن قريب ، كان الجميع يشاركونه الضحك ويتندرون عليه . ذلك المساء كنا جلوساً في النادي وكان حسان - على غير عاداته - يمرح ويطلق النكات . فجأة انقطعت الكهرباء . قلنا لعله طارئ ألمّ بالاسلاك . هاتفنا شركة الكهرباء فوعدتنا خيراً ، منذ صغري وانا اخاف الكهرباء ، رأيت اختي والكهرباء تصعقها ... لم تمت . من يومها وانا احذر من الكهرباء ، تأخر اصلاح الطارئ وصديقنا المخـــرج ما زال منطلقاً في تعليقاته الساخرة، الكل يشارك في ذلك وتناسى الجميع امر انقطاع الكهرباء ..

حينما افقت من سرحتي ، خاطبني صديقي : ما بك واجماً ؟ نظرت اليه مذكراً الجميع انها الشمعة الاخيرة التي نملك .. فاذا انتهت ، من أين لنا بشمع غيرها ؟ والعالم في الخارج مضاء الا هنا ، الجميع خلف جدران بيوتهم ينعمون

بالدفء الانحن هنا نرتجف من البرد وتلاشت ضحكات الجميع وطال صمتنا ... من أين لنا بشمعة أخرى ... انها املنا جميعاً .

• • •

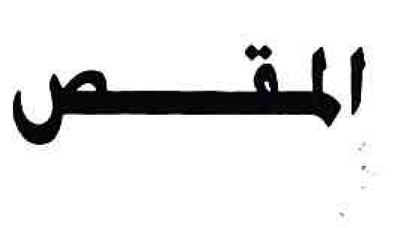
.. حينما كنت هنالك ، قبل سنين ، كنا ثلاثة جمعناهم واحد وحلم واحد وعشيقة واحدة نتسابق كلنا اليها ، كنا نتوجع كثيراً ونضحك كثيراً ... الطعام جميل والشاي اجمل ... قال صديقي : غداً رأس السنة . آه على زجاجة تدفئنا جميعاً ، لكن الامر بعيد المنال . اقسمت له أنني في السنة القادمة ساحتفل بسنتين ...

• • •

افقت من غيبتي على لكزات صديقتي تنبهني ، الجميع ينظرون الى شرودي ، قلت لهم سأروي لكم ما حدث في قريتنا الجنوبية الجميلة . كانت تغرق بالظلمة ومنذ المساء كان الجميع يأوون الى بيوتهم ولـم تكن لتشاهد سوى بريق

اضواء اللوكسات او لمبات الغاز ، وبقيت قريتنا على هذا الحـال ردحاً من الزمن ... وعندما جاءت شركة الكهرباء واوصلت النور الى القرية ، فـرح أهلنـا هناك كثيراً ، فلم يعودوا يحتاجون الى الشمع واللوكسات وغيرها .. ومن بين النوادر التي قيلت عن ذلك ، انه عندما كان يحل ضيف علـى بيت في القرية كان يسألـه الناس : اتشرب شاياً أم « نولع » الكهرباء ! ضحكنا كثيراً ... نظرنا الى الشمعة ، أصبحت في منتصفها . جمعناهم واحد وهو الخوف من ضياع املنا الوحيد المتبقي ، مشاربنا مختلفة ، لكن خوفنا واحد ، المكان غارق في صمته الازلي . وشمعتنا تقترب من نهايتها ، الشمعة تقترب شيئاً فشيئاً الى اخرها ... خطوات في الخارج ، صوت الباب يفتح ، اشرأبت الاعناق للقادم . وتساءلنا في قرارة انفسنا عله يحمل شمعاً ... كانت فتاة ، طويلة القامة ، جميلة المظهر والملبس ، تلمست طريقها في الظلمة ... كانت الشمعة في اخر انفاسها . سألت : اما زلتم هنا في هذا الظلام تنتظرون ، انتفضنا لقولها فتابعت

اخرجوا الى الشارع ، الى العالم ، الجميع يمرحون ويفرحون وانتم قابعون هنا ... العالم في الخارج مضاء جداً ... تبادلنا النظرات ، امسكت صديقتي بيدي واندفعنا الى الخارج . بعضنا سقط وداسته الاقدام وبعضنا الآخر واصل الجري ، وانا وصديقتي ممسكان بيـــدي بعضنا بعضا ، ما زلنـــا نركض ... لم نصل بعد .. لكن الضوء لاح لنا عن بعد .
هتفت : فلنواصل الركض اليه ...


المقــــص



وعدته أن أحضر في الموعد المحدد للافتتاح عندما أخبرني عن احتفال الغد ، وأن السيد الرئيس هو الذي سيفتتح الاحتفال . قلت له لن أتأخر . هل اخبرت الجميع ؟

- نعم قال لي وانثنى يسمعني أسماء جميع من وجه الدعوة لهم . قلت له لا تنس الصحفيين ، وجودهم ضروري في هكذا احتفال ، حيث سيعطون الاحتفال صورة جيدة إذا أكرمناهم الليلة ، وأرجوا أن تعهد بهم الى ليلى فهمي خبيرة بمثل هذه الاحتفلات وتعرف كيف تستقبل الصحفيين وتجعلهم يكتبون أجمل المقالات .

- لا تخف ، قال لي ، كل شيء جاهز وتمام ، ولن ننس ... اعددنا الترتيبات ووزعنا الادوار ، قلت له اوص الشباب حتى لا يفضحونا فليلبسوا أجمل ما لديهم وليتعطروا بأجمل العطور ، حتى يبدو استقبالنا للضيوف والمحتفلين بشكل جيد ، قال لي إن كل شيء جاهز ، حتى شريط الاحتفال ، ما لون الشريط ؟ سألته .

قال لي أخضر فقلت أريده أحمر فلم يتلفت الي وإلى نصحي كعادته . ليلتها لم أنم وأنا أفكر أن غداً سيكون افتتاح احتفالنا الذي انتظرناه عشرين عاماً . عشرون عاماً ونحن في شوق شديد له ، غبنا عنه وغاب عنا وأجبرنا على ما نكره . لجأنا الى طريق ابتدعناه لأنفسنا خشية مالا يحمد عقباه . المهم أن غداً احتفالنا ونحن سعداء جداً لذلك .

... في اليوم التالي استحممت ، ولبست أجمل الثياب ، ووضعت أفخر العطور وذهبت الى المكان قبل ساعة من الافتتاح . عندما وصلت وجدت الجميع منهمكين في الاعداد للحظة التي يأتي بها السيد الرئيس كي يدشن مرحلتنا الجديدة . بعدها سنقيم الاعراس ونوزع الحلوى ونسهر ليلنا الطويل ولا شيء سيؤرقنا . عندها قد أقوم بمشروعي الذي تأجل منذ عشرين عاماً . الجميع منهمكون في العمل وبعضهم كأم العروس . سألتهم عن الشريط فأخبروني أنهم وضعوه على بوابة الافتتاح . واللافتات ؟ قالوا انها جميعها منصوبة في المكان المخصص خلف مقعد

السيد الرئيس في الصدارة لكي تظهر في الصور التي ستنشرها الصحف المحلية . اطمأن قلبي الى أن الامور لغاية الآن تسير على ما يرام .

اقتربتالساعة والقمر سيكتمــل ، وستكتحــل عيوننا برؤيـــة أشياء جديدة غير التـــي اعتدنا عليهـــا . حضر السيد الرئيس ، قال أحدهـــم ، فانتبهنا جميعـــاً وتراكضنا كلنا الى الباب لنستقبلـــه . كان عمـــران أسرعنا فاستقبله وعرفه على الاعضاء جميعهم وأدخلـــه الـــى الغرفة المهيأة للاستقبال ليلقط أنفاسه قبـــل أن يقـــوم بافتتاح حفلنا . دخل السيد الرئيس وتصدر المكان . صبّ أحدهم القهوة السادة . شرب فنجاناً واحداً . شربه دفعة واحدة ... تحدث معنا ونحن منبهرون بحديثه العذب ، أشار عمران الى أن الساعة حانت للبدء . تقدم الى السيد الرئيس وطلب منه الانتقال الـــــى مكان الاحتفال ، تراكض الصحفيون والمصورون الى الامام لكي يصوروا ويكتبوا عن هذه اللحظة التاريخية .

تقدم السيد الرئيس بخطوات واثقة وعيون ثابتة الى أن وصل الى الباب حيث وضع الشريط الاخضر . نظر الينا . ما الامر ؟ ماذا جرى ؟ نظر إلينا مرة اخرى . نظرنا في وجوه بعضنا بعضا ، ماذا دهاه لكي يقف . طال وقوفه . ما بال السيد واقفاً كالتمثال ؟ صمت الجميع ... حتى الصحفيين على غير عادتهم . قال السيد الرئيس ، بعد وقت طال حسبناه دهراً ، هل أبدأ ؟ فأجبناه ... نرجوك ، قال إذاً أين المقص كي أقص الشريط وأدشن الاحتفال ؟ المقص ... صرخنا بصوت واحد : المقص ... نسيناه . تراكض بعضنا بحثاً عن مقص بينما بقي السيد واقفاً ... المقص ، الجميع يصرخون ... يا ويلنا كيف ندشن احتفالنا دون مقص . المقص ... الجميع يبحث عنه ... عندما ملّ السيد الرئيس تحرك وقال ... لن أستمر دون مقص . انتظر لحظة ، صرخنا به ، إننا نرجوك ، انتظر ، لقد انتظرنا نحن عشرين عاماً كي نرى هذه اللحظة . حياتنا مرهونة بهذا الاحتفال ولن يعيقنا المقص سنجده ... لحظة من فضلك .

... لكنه لم يستجب ومضى ، ركب سيارته ، تبعه الصحفيون وجميع المدعوين ونحن ننظر بعيون مدهوشة ومشدوهة .. انهار بعضنا وتحاملت أنا على نفسي حتى وصلت الى أحد المقاعد وارتميت عليه .

المدينـــــة

(١)

اطل فأر برأسه من جحره ، وعندما أطمأن الى ان قطط الحي في قيلولة خرج واثق الخطوات متبختراً ، يبحث عن لقمة اكل له ولبقية أفراد عائلته . البيت خالٍ لا أحد فيه . مضى يبحث في قمامة المنزل ، دخل المطبخ ، فتش .. فتش، فلم يجد شيئا .. وبينما هو يبحث ، كان القط السمين المدلل قد افاق من قيلولته ... نظر حوله فرأى فريسته . وتسلل شيئاً فشيئا ... ثم وثب !

(٢)

كان القط السمين يلعب فرحاً ، غير عابئ بهمّ توفير الطعام ، ما دام كل شيء في المنزل تحت تصرفه .. اهل البيت لا يبخلون عليه بشيء ، اراد الخروج من ضيق المنزل الى رحابة الارض والهواء العليل . اطل برأسه من الباب الخارجـــي ... الكلاب نائمة، هكـذا فكر، وما ان اطـــل

حتى ... كان كلب الجيران المرعب من نـــوع « الوولف » قد شاهده .. تأهب ثم « شنّف » اذنيه ، واتخذ وضع الاستعداد ... ثم وثب !

(٣)

كان الكلب زعيماً للمنطقة ... يتبختر فيها فرحاً لا يعكر صفوه أحد . هو الزعيم لا غير . لم يكن ليهتم بالاشاعات التي اطلقتها بعض الكلاب من ان بعض القناصة يجوبون الطرقات بحثاً عن الكلاب « الضالة » وانهم يطلقون النار على كل كلب يصادفهم . لم يبال بشيء ، فهو قوي وعنده المقدرة على الحيلة والهرب... كان القناص متأهباً متحفزاً فما ان شاهـــد الكلب حتى وضع البندقية على كتفه واصبعه فوق الزناد .... واطلق الرصاص !

(٤)

عاد الرجل الى منزله فوجد زوجته غاضبة جداً وتحلف برأس ابيها انها ستترك المنزل فليتدبر امر الاولاد ، انه لا يوفر

لهم لقمة العيش والحالة صعبة هذه الأيام . زمجر الرجل لاعناً كل شيء ... وعندما ذهب الى عمله واجهه المدير غاضباً من تأخره كل هذا الوقت وصاح به شاتماً لاعناً بقية أهله .. هدأت زوبعة المدير وعاد الى مكتبه فسمع رنين الهاتف وكان مسؤول المصلحة على الطرف الآخر... شتمه لتأخره عن تسليم الصفقة فاحمر وجه المدير وتفصد عرقاً ، بلع ما تبقـــى من « ريقه » وطمأن المسؤول ان الامــر سيكون « عال » هذه المـــرة ، انفرجت اسارير المسؤول فتحادثا حول الصفقة المقبلة ونصيب كل منهما ، كان الوقت يميل الى الغروب ... غادر المسؤول مكتبه عائداً الى المنزل !

(٥)

المكان... الجلسة منعقدة والسيد الرئيس صب جام غضبه على المسؤولين ... ويتهمهم بالتقصير مكشراً عن انياب ذئبية ، لاعناً كل شيء . المسؤولون ينظرون الى

بعضهم بعضاً لاعنين الزمـــن الذي وضعهم في هــذه المواجهة ... انفرط عقد الجلسة فغادر السيد الرئيس المكان عائداً الى بيته ... ما ان وصل حتى رن جرس الهاتف . كانت مكالمة خارجية . بقي ينصت للامر قرابة الساعة وهو يحرق المزيد من السجائر ... عندما وضع السماعة تنفس الصعداء وارتمى فوق مقعده وغفا .

(٦)

في الصباح كان السيد الرئيس جثة هامدة ، وحوله بقية كأس فارغة ... حضر الجميع ليعرفوا ما الخبر ... انتشر الخبر خارج المنزل . حملته الرياح الى كل حدب وصوب . حزن بعض الناس ، اشارت الصحف إلى أنه كان عطوفاً رؤوفاً بالمساكين والأرامل . في الموكب الجنائزي اكاليل الزهور توضع على قبره ، بعضهم يبكي وبعضهم ينظر الى الجميـــع من خلـــف نظارتين سوداوين وبريق يلمـــع في الاعين !!

الفرســـــان



كان أبي فارساً من الفرسان ، تعلم الفروسية مذ كان في قريتنا عن أبيه . عندما كبر دخل الجيش في الاربعينات من هذا القرن ، فكان ان عيونه في سلاح الفرسان . كانت لأبي فرس شهباء جميلة يطعمها اللوز والسكر ... وكان أبي متديناً وقد أقسم انه لم يكن يفعل ما يفعله بقية الفرسان .. ذلك ان الفرسان اذا دخلوا قرية افسدوها . كانوا بفطرون ويتغدون ويتعشون على حساب القرية الذاهبين اليها لجلب مطلوب ، والمطاليب كانوا كثيرين في خمسينات القرن . كان الناس يتعوذون من الفرسان كالشيطان الرجيم ، لأنهم نكبة لمن سيحلون عليهم ضيوفاً . اذا كانت القرية متعاطفة مع أحد المطاليب فكانوا يحيلون القرية الى حلبة للعبث والتخريب . ويقتلون غنمهم ويقلبون السكر على الطحين ويفسدون كل شيء .

حدثني أبي رحمه الله انه في مرة من المرات جاءت اشارة من العاصمة للمركز لجلب شخص اسمه « عمران » من قرية « ... » ولـــم تكن البرقية تشير الـــى الاسباب ...

انما ذكرت ان عليهم جلبه الى العاصمة فذهبوا ... خمسة فرسان ... ولما وصلوا القـــرية دخلوا الــى بيت المختـــار واخبروه ... فبعث المختار بشخص لجلب عمران وعندما حضر قيدوه وربطوه عند الخيل حتى الصباح .. ليلتها ذبح المختار له كبشاً سميناً فتعشوا وناموا .

في الصباح ركبوا خيلهم وربطوا عمران من يديه وساقوه امامهم ... كانت المسافة من القرية الى المركز عشرين كيلو متراً .. وطوال المسافة والفرسان يلهبون ظهر عمران بسياطهم الى ان وصلوا الى المركز وادخلوا عمران الى مدير المنطقة بحالته السيئة ... استشاط المدير غضباً ، لانه وحسب رواية أبي ، رحمه الله ، قد وصلت برقية ثانية من العاصمة تطالب بالاسراع بجلب « المطلوب » عمران ، لأنه مطلوب للتعيين في العاصمة .

أم عـــــودة

كنت أراها مرتين يومياً

في الصبـاح حينما أذهب علـى عملـي ، ومساء حين أعود ، وحيداً مع بقايا خمرة يترنح منها كل ما بداخلي . كنت أنظر اليها بإشفاق . هذا حال الدنيا كلنا في الهم شرق ، هل أقنع نفسي أن الامر جد عادي ؟ كان الزمن يهرم شيئاً فشيئاً . هي لم تتغير ، بقيت كما عرفها الجميع منذ عشرين عاماً ، دائمة السرحان والنظر للبعيد ، تنتظر من ذهبوا وما عادوا .

« أم عودة » تعودت الجلسة تلك أمام منزلها . قديماً كانت تودع زوجها في الصباح وتجلس مع الجارات لشرب قهوة الصباح والحديث عن الطبخ والنفخ وأغنيات أم كلثوم واسرائيل والحرب . في المساء تجلس أمام منزلها تنتظر عودة زوجها . الآن لن يعود ! ذهب مع حزيران ، فلا عاد ولا عاد حزيران .

لم تبك كثيراً فالعوض بوجه الكريم ، عوضها الله بمولود اسمته « عوده » . كبر الطفـل ، تولعت به ، أرادت تعليمه

من كدها في مصنع الورق . « عوده » قد شابه أباه وما ظلم، يوماً بعد يوم وعوده يكبر ، كان تفكيره ينشغل باهتمامات غير اهتمامات جيله ، تحسّ أنه أكبر من عمره ، يزوره أصدقاء معدودون ، وجوههم مغبرة ، وكأن هموم العالم على ظهورهم .

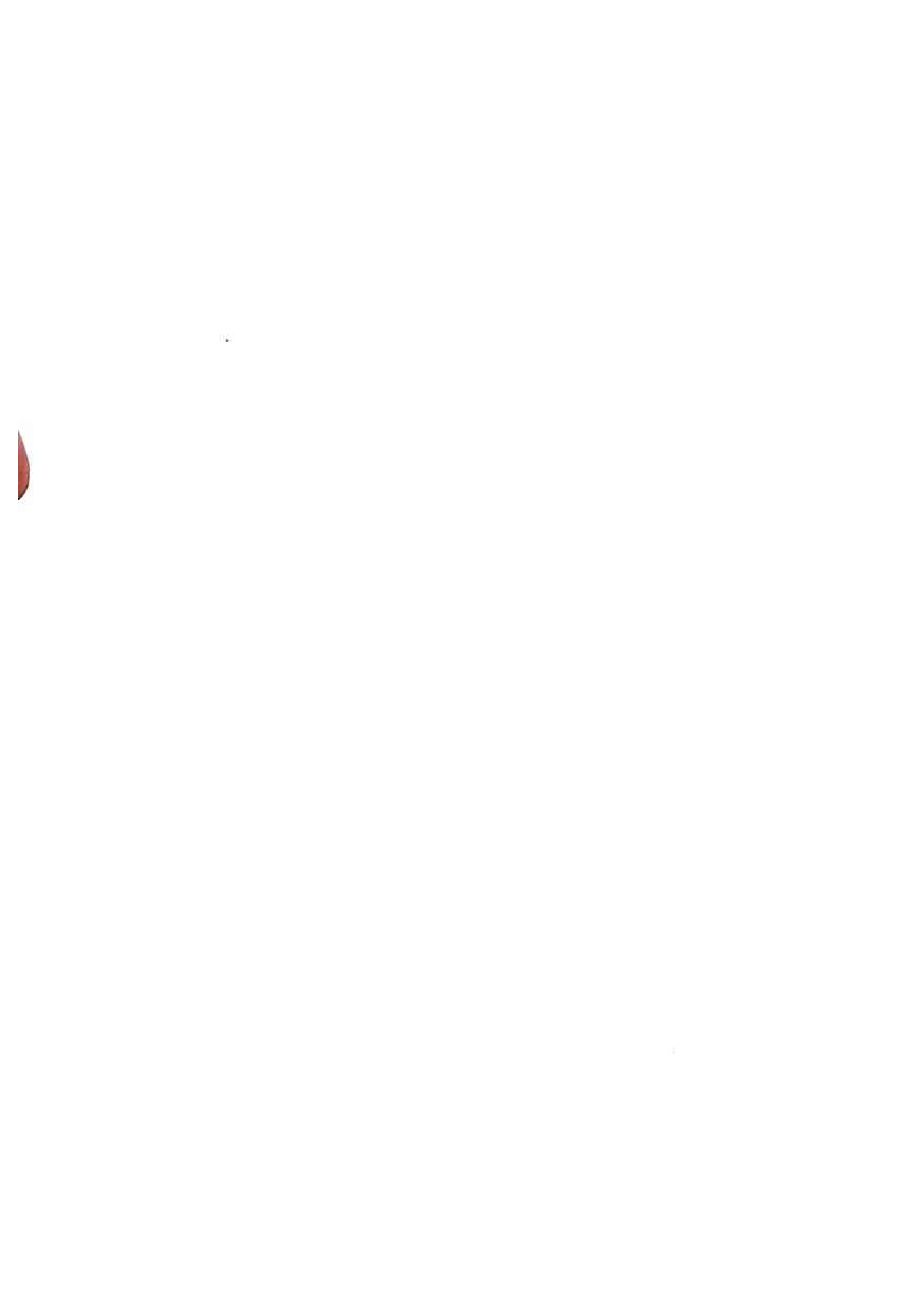
قال لها يوماً : وداعاً ؟ ومضى ... ولم يعد .

كنت أراها مرتين يومياً .

خرج الجميع من الحصار ، هو لم تسمع أخباره . كانت تتصفح الجرائد التي « لا تفك » حرفها لتنظر في الصور عله يكون ، التلفزيون يتحدث عن خروج المحاصرين ، لم تره بينهم . يا عوده أهكذا حتى ولا رسالة لأمك الحزينة ... لكن « لا تندهي ما في حدا » .. عودة ضاع مع الضائعين ولن يعد ...

لكنها تنتظر والدموع من عينيها تسيل كل يوم ، حتى فاضت الأرض بالدموع . وعندها ... كان الورد يطلع على غير عادته الذابلة ... كان ورداً لا يذبل .

تلك الليلــــة



جاءوا عشاء تسبقهم جوقة من الصراخ واللعنات .

شارع هادئ . لا وقت للبكاء أحمل معطفك الشتوي واتبعنا .

صرختُ بكل تفاهاتي : أين ؟

نظر الي من خلف الاسوار البشرية اصمت ، وصمت كل شيء في الشارع الهادئ مساء إلا أنا .

تقدموا يركلون كل شيء هربت بعض دجاجات كانت أمام المنزل تقتات على بقايا مزبلة . الكلب مربوط ، همهم ثم عوى ، اشتد عواؤه ، ضايقهم ذلك . اصمت ، صرخ كبيرهم الذي علمهم القتل ، لكن الكلب ما صمت . أخرج مسدسه ... طاخ .... وصمت الكلب نهائياً .

يا كلب صرخ بوجهي ، فاشحت عنه ، تريد أن تعلمهم الكفر ، ها أجب .

لست كلباً . انسان يبحث في الرمق الأخير عن عيني حبيبته تلك التـي اختطفموها . تساءلت حتـى الكلاب

لا تسلم منكم ، دعوها تنبح ما دمتم قد كممتم الأفواه وربطتم شفاهنا بحديد النار .

لم أكمل .... الدم ينزف من أنفي وفمي . غاب توهج الضوء في الغرفة من عيني ، دوائر تتكون ، تكبر ، تصغر وأحس بثقل في الرأس يزداد شيئاً فشيئاً ...

• • •

- أين هو أيتها العجوز ؟

- لم يعد بعد .

- نحن نعلم أنه مختبئ هنا فأخرجوه ، ومن خلف تجاعيد وجهها المتغضن وعينيها الذابلتين كدالية في اخر العمر نظرت إليه ، ثم بصقت في وجهه . سقطت أرضاً بفعل ضربة من كعب البندقية . ومضوا به ، أهل القرية كانوا يراقبون الوضع من خلف النوافذ . ولما انصرف العسكر هرعوا نحو أم الخير .

• • •

... تسعون يوماً أمي بعيدة عني ، وقريتنا التي عكر صفوها دبيب العربات العسكرية صامتة . لا بد أن الدجاجات زادت كثيراً ، سآكل دجاجاً بالطابون عندما أخرج . أمي طباخة ماهرة تتقن كل شيء . موسم الحصاد حل ، من سيساعد أمي في الحصيدة . الجنوب دائم المحل في السنوات الماضية ، هذه السنة يقال بأن الموسم سيكون كثير الخير . يا خير . من يعلم الاطفال الآن ... ومن سيجمعهم ليعطيهم دروس الحساب ... من ؟

فُتح الباب . نظر الى القادمين ، اشاروا اليه . حضّر نفسك . فرح كثيراً فسوف يفرج عنه . لبس ملابسه ، تقدم منه أحدهم وربط معصميه بالقيود . سبقه الى الروفر . الى أين تساءل بقلق ؟ كنت أظنه أفراجاً . ضحكاتهم تملأ سمعك . العاصمة ، هناك لن يرحموك ، وجم ، وسارت السيارة بهم ، العاصمة ، أيامنا الحلوة فيها عندما كنت طالباً في الجامعة وهيفاء التي رحلت . قصة لم يكتمل الفصل الاخير منها .

سأله زميل في الزنزانة : لكن لماذا نقلوك الى هنا والمسافة بعيدة والأمر واحد ؟

قيل إن من في العاصمة يودون رؤيتي ، تصور ، والتمتع بالحديث معي ، وأنتم من أين ...

كلنا من هنا ...

أطرق عيسى وقال أما أنا فأهلي هناك بعيداً تحت الاحتلال ... كنت عائداً كي أقبل الورد هناك فكانوا لي بالمرصاد .

• • •

خرجت متلفتاً فركت عيني بيدي ، كانت الشمس في وسط السماء . هرولت نحو السرفيس ركبت الى وسط البلد . إفراج . سأعود للقرية ، قبل ذلك سأمر على الجامعة لأسلم على الأصدقاء . لا بأس بصحن فول . الفول له تاريخ معي أيام الجامعة .

... لم أشعر بالطريق الطويل . وصلت القرية ، هرول الجميع لاستقبالي . دخلت المنزل. أين أنت يا أم فقد عدت؟ سكت الجميــع ، نظروا الي بصمت .قال خالـــي أخيراً : العمر إلك !

الاعتصام

الاعتصام الساعة الخامسة مساءً ، أمام مقر هيئة الامم المتحدة .

وحدي أغادر المنزل . ووحدي سأعود في اخر الليل ، لا حبيبة أبثلها همي وشكواي ، ولا صديقة تسامرني ليلي ، نزلت الدرج المؤدي الى شارع المحكمة . مشيت حتى اقتربت من سينما زهران . ترددت قليلاً ، ثم دخلت . المناظر العارية تدعوني للدخول ويضجّ في داخلي البركان الذي ما هدأ يوماً ، ترتعش أوصالي ، يعذبني ، يقهرني ويدفعني لاعتصار ذاتي كل ليلة . الصور العارية كادت تغريني لولا تذكرت كلام مسؤولي الحزبي : إياك أن تتأخر عن الاعتصام . ألقيت نظرة متحسرة على المناظر ومضيت نحو سرفيس مجمع النقابات . اقتربت من السيارة الاولى . كان بها شخص يجلس بجانب السائق . وفي المقعد الخلفي جلست فتاة لم أتبين شكلها لوحدها . اسرعت بفتح الباب الخلفي وجلست بجانب الفتاة . نظــــر السائق العجوز اليّ

نظرة المتضايق . خلته يقول ، يا ملعون اخترت أن تجلس بجانب الفتاة . كلكم هكذا يا شباب اليوم . اخس عليك . لم أكترث بنظراته . امتلأت السيارة . جلس بجانبي أحدهم فأزحت مكاني لأفسح له فلامست فخذي اليسرى فخذها.

ارتعشتُ ولم تتحرك هي أو تعترض .. انطلقت السيارة بنا . بعد قليل سيبدأ الاعتصام . فخذي تلامس فخذها والقشعريرة تسري بجسدي ، تشتت كل ما في وانتصب كل ما في . كلما أسرعت السيارة مالت فخذي على فخذها . أصبحت تحت سيطرتي . غابت الرؤية وزداد الالحـــاح في داخـــلي . لاحظت انها سارحة تحـــدق في الشوارع ، مستسلمة . زدت من التصاقي بها . الدفء يزداد والقشعريرة تزداد . ماذا لوصرخت ! يا للفضيحة . ماذا سيقول عني رفاق الحزب ! جسمي يرتجف كما البركان قبل الانفجار . الاشارة الضوئية قرب مثلث الصناعة والتجارة . توقفت السيارة فاهتز جسدها . يا له من

لين . تخيلتها عارية . جسداً مليئاً مليء بالشهوة والعطر النافذ يزيد من سكري بها. نزل أحد ركاب المقعد الامامي . وضعت يدي على قلبي .. خشيت أن ينزل الراكب الذي يجلس على يميني لأني عندها سأبتعد عنها . ازددت التصاقاً بها . كلما ازددت التصاقاً بها . ازداد ضغط الـــبركان المندفع ، الحمم ستتصاعد ومن سيوقفها . تذكرت رفاقي ماذا سيقولون عني لو عرفوا وهم الذين يعتبرونني أديباً وأخلاقياً جداً . لاحظت بطرف عيني شبه ابتسامة غامضة وشعور بالاسترخاء تعلو وجهها . آخر موقف . قال السائق. نزلنا جميعاً .

تباطأت قليـــلاً فـــي مشيتي . مشيت صوب مجمـــع النقابات. الاعتصام أمام هيئة الامم . توقفت قليلاً قرب بائع الزهور عند باب المجمع. رأيتها تقترب . حاولت أن استجمع شجاعتي . الالحاح يزداد في داخلي . كلما اقتربت ازداد الالحاح في داخلي . اللعنة إنها تتجاوزني دون أن أمتلك

الجرأة للحديث معها . حاولت أن أقول مرحباً فجبنت . خفت . علـى الاقل أعزمها على الفاروقي أو جنيفا مثلاً . ابتعدت عني . لـــم أستطع المواجهـــة . انطلقت صوب الاعتصام .

عندما وصلت ، كان الجميع يهتفون ضد أمريكا ، فهتفت بشدة البركان في داهلي ، فلتسقط أمريكا وكنت أكثرهم هتافاً : ملعون أبو أمريكا !!!

كتبـــت قصص المجموعـــة

ما بين عامي ١٩٨٩ - ١٩٩١

تلك الليلة

جاءوا عشاء تسبقهم جوقة من الصراخ واللعنات

* * *

- أين هو أيتها العجوز ؟

- لم يعد بعد .

- نحن نعلم أنه مختبئ هنا فأخرجوه ، ومن خلف تجاعيد وجهها المتغضن ، وعينيها الذابلتين كدالية في آخر العمر ، نظرت إليه ، ثم بصقت في وجهه . سقطت أرضاً بفعل ضربة من كعب البندقية ، ومضوا به ....

* * *

... لم أشعر بالطريق الطويل ، وصلت القرية ، هرول الجميع لاستقبالي . دخلت المنزل . أين أنتِ يا أمُ فقد عدت ؟

سكت الجميع ، نظروا إلي بصمت . قال خالي أخيراً : العمر إلك !



الثمن دينار أردنى

دار الينابيع للنشر والتوزيع